**العلاقات الصحفية بين منطقة الزيبان وتونس**

**1920-1934**

**عبد القادر قوبع**

**جامعة زيان عاشور. الجلفة**

ظلت العلاقات والروابط الحضارية والثقافية قوية وثابتة بين الجزائر وتونس بخلاف العلاقات السياسية التي كانت سريعة التأثر والتبدل، وصار من الثابت تاريخيا متانة هذا الترابط والتفاعل الحضاري والثقافي بين القطرين.

وإذا كانت الإشارات والأحداث والدراسات كثيرة حول موضوع الترابط ومظاهره فإننا نعتقد أنها بحاجة إلى تخصص أكثر دقة لاستجلاء التفاصيل وبناء أحكام تتعلق بكل ميدان على حدة.

ودراستنا ستتناول التفاعل والترابط الحاصل بين تونس و منطقة الزيبان في الجزائر في الميدان الصحفي، مركزين البحث في مدى وجود هذا التفاعل والترابط ومظاهره وتجلياته، مرتكزين على حادثتين تاريخيتين هما طبع جريدتي "البرق" و"الإصلاح" (الزيبانيتين) في تونس ودلالاته والمقالات التي احتوتهما، إضافة إلى المقالات الواردة في جريدة "صدى الصحراء" باعتبارها أول جريدة تظهر في منطقة الزيبان.

**1- علاقات أبناء الزيبان بتونس:**

ارتبط الجزائريون بتونس من خلال جامع الزيتونة وباعتبارها طريقا نحو المشرق العربي والحج، و باستقرار عائلات جزائرية كثيرة في تونس بفعل الاستعمار الفرنسي وفشل المقاومات الشعبية. وقد ساعد على هذا الترابط بالنسبة لأبناء الزيبان القرب الجغرافي ومعرفة مسالك الطريق والقوافل وحركات الهجرة(1)، وأيضا بوجود الزاوية العزوزية في جنوب تونس التي تعود أصول مؤسسها إلى بسكرة(2).

وقد قُدر عدد الجزائريين في تونس عام 1907 بحوالي 20 ألفا، و تزايد هذا العدد بفرض التجنيد الإجباري على الجزائريين وهجرات الطلبة والمصلحين نحو الزيتونة (3)، ويذكر أحمد توفيق المدني بأنه كان في جامع الزيتونة عام 1914 :" عدد لا يستهان به من الطلبة الجزائريين " (4).

وقد ساهم الجزائريون المستقرون في تونس في ميادين كثيرة، خاصة الحياة السياسية والصحافية، فقد أصدروا في تونس صحفا كثيرة (5). ويُعد عبد الرحمان الصنادلي أصيل مدينة عنابة من رواد الصحافة الحرة في تونس ومثالا يحتذى، حيث كان يُحرر لوحده مواضيع جريدته "الزهرة" ثم ينضد حروفها، وبعد انتهاء دوام العمل بالمطبعة التونسية يشرع في وضع القوالب على الآلة الطابعة ويسحبها لوحده، ليقوم في الصباح بتوزيع هذه النسخ، فساهم بعمله في نشر ثقافة الطباعة(6).

ومن المعروف أن عمر راسم (1884-1959) كان من أوائل الجزائريين الذين راسلوا الصحف التونسية في بداية القرن العشرين، وقد احتك وتأثر به محمد بن العابد الجلالي ( ابن الزيبان) الذي بلغ تأثره به أنْ أفرد له ترجمة عمدة في كتابه "تقويم الأخلاق" بعد ذلك، مما يجعلنا نعتبر محمد بن العابد الجلالي ناقلا للتأثير التونسي إلى منطقة الزيبان(7)، وكذلك عمر بن قدور. أما بعد العشرينات فقد تزايد عدد الكتّّاب الجزائريين - ومنهم أبناء الزيبان – في الصحافة التونسية أمثال:

البشير الخنقي .

حمزة بوكوشة 1927-1979.الوزير

السعيد الزاهري 1900-1956.العصر الجديد

محمد العيد آل خليفة العمل لسان حال الحزب الدستوري الجديد .

الشاذلي المكي.

أبو اليقظان: المنير(8).

كما بدأت ظاهرة التخصص والارتباط بجرائد معينة فمحمد السعيد الزاهري كان ينشر أعماله في "النهضة" بصفة أساسية، والطيب العقبي و محمد العيد آل خليفة ينشران أعمالهما في "العصر الجديد" ...(9)

وقد ساهم كثير من الطلبة الجزائريين في جامع الزيتونة ثم في جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين في كتابة مقالات وتغطيات لصالح الجرائد التونسية هناك(10). ويكفي أن نذكر من أبناء الزيبان في الزيتونة فرحات الدراجي(1906-1951).أحمد بن ذياب القنطري(1914-؟). محمد السعيد الزاهري (1900-1956 ). محمد الهادي السنوسي الزاهري(1902-1969). زهير الزاهري (1908-1999). المولود الزريبي(1897-1925.)عبد اللطيف سلطاني (1902-1984). محمد العيد آل خليفة(1904-1979).علي المغربي (1915-1999 ) .محمد خير الدين (1902-1993). نعيم النعيمي (1909-1973). عبد الحفيظ بن الهاشمي، الشريف بن عبد الحفيظ البسكري و الأخضري عبد العالي (1907-1959) ...(11)

كما نجد في جرائد تلك الفترة رسائل دعم وتأييد وتضامن مع الجرائد التونسية التي طالَتها يد الرقابة والتعطيل والمنع الاستعماري، مثلما حصل مع جريدة النهضة عندما مُنعت عام 1925 من دخول الجزائر(12).

وتأكيدا على هذا الترابط نجد الطيب العقبي يدعو وبشدة لتوحيد رؤية الهلال بين القطرين باعتبارهما قطرا واحدا (13).

**2- التأثير الصحفي التونسي في الجزائر:**

أجمع عدد من المؤرخين مثل شارل روبير آجرون وأندري جوليان وأحمد توفيق المدني ومحمد علي دبوز وأبو القاسم سعد الله ...على أن تونس مثّلت معبرا أساسيا لمختلف التأثيرات المشرقية إلى الجزائر التي صارت عاجزة على بعث نهضتها الإصلاحية بحكم طبيعة الاستعمار الاستيطاني الإدماجي الفرنسي الذي عمل على تحطيم العائلات التقليدية ونفوذها الروحي والاقتصادي(14).

ويُدلل المدني على اطّلاع الجزائريين على ما يحدث في تونس أولا بأول أنهم قد تعرفوا عليه في عنابة وقسنطينة وبسكرة...بسرعة وسهولة بعد وصوله إليهم منفيا من تونس عام 1925، وذكر بأن جريدة "النجاح" قد كتبت عنه بعد يومين فقط من نزوله بقسنطينة بعنوان: "ضيف معتبَر"(15).

أما في بسكرة فذكر بأنه التقى بشبابها الإصلاحي الذي تعارف معه في تونس أو بواسطة الصحافة مثل محمد العيد آل خليفة وإسماعيل بن المكي ( إسماعيل المكي) و محمد العزوزي حوحو...(16)، وخاصة محمد الهادي السنوسي الذي تربطه به علاقة صداقة متينة.

كما يذكر مالك بن نبي بأن تبسة كانت تعج بالصحف التونسية خاصة جريدتي الزهرة والعصر الجديد(17).

أما الأستاذ محمد القورصو فيذكر بأن الصحف التونسية كانت هي الأكثر مصادرة من طرف السلطات الفرنسية بحكم كثرتها ورواجها وسهولة دخولها إلى الجزائر خاصة الزهرة والأسبوع والإرادة والزهو والهلال...(18)، كما تحدثت التقارير الفرنسية عن كثرة عمليات الحجز ضد الجرائد التونسية في قسنطينة ولدى الأشخاص مثل محمد السعيد الزاهري ( عام 1930 مثلا)(19).

ومن الشخصيات التي زارت الجزائر 1920 الصحفي المعروف سعيد أبو بكر الذي زار بسكرة ونواحيها وأدهشته كثرة ورواج الصحف التونسية بها واشتراك أهلها فيها بصفة رسمية وعرضها للبيع في المحلات كما هو الحال في تونس(20).

وأيضا الشاعر التونسي الشاذلي خزندار سبتمبر 1928 والذي كان في استقباله محمد الهادي السنوسي(21).

والشاعر الصحفي الوطني التونسي محمود بورقيبة الذي زار بسكرة أيضا(22).

أما التواصل الصحفي فجسدته أقلام تونسية عديدة كتبت في الصحافة الجزائرية خاصة خلال مرحلة منع الصحافة التونسية من النشاط بين 1912 و 1920 كما يذكر المدني(23)، مثل محي الدين القلال الذي عمل مراسلا للصحف التونسية في الجزائر(24)، والطيب بن عيسى ( جزائري الأصل) (1885- ؟) الذي عمل كاتبا ومراسلا ووكيلا للفاروق في تونس(25)، ونذكر منهم أيضا البشير الفورتي و حسين الجزيري ( جزائري الأصل) وصالح سويسي القيرواني ومحمد الفايز وجلال الدين النقاش ومحي الدين القليبي وعثمان الكعاك ومحمود بورقيبة ومحمد المهدي بالناصر..(26)، دون أن ننسى أحمد توفيق المدني ( الذي كتب في النجاح. الشهاب. الإصلاح...).

وعموما فقد تركزت الأقلام التونسية في جريدتي ذي الفقار والفاروق مع وجود بعض الكتابات في جرائد البلاغ والإخلاص والرشاد وصوت المسجد...(27)

وقد اعترف أبناء الزيبان وغيرهم من الجزائريين، بل حتى التونسيين أنفسهم بدور تونس في نهضة الجزائر الفكرية والصحفية بعد ذلك، فكتب محمد السعيد الزاهري قائلا:". أنا مدين لكلية جامع الزيتونة فقد تخرجت فيها وأحرزت على شهادتها" الشهاب، عدد ديسمبر 1933 ، أما عبد اللطيف القنطري فقد أشاد بدور الزيتونة في تخريج الشبيبة المتنورة(28).

أما عميد الصحفيين الجزائريين الشيخ إبراهيم أبو اليقظان فقد اعتبر بأن الجزائر في حياتها الأدبية وحركتها العربية الإسلامية مدينة لتونس منذ الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر(29).

وفيما يتعلق بالتأثير الصحفي اعتبر محمد صالح الجابري بأن النهضة الصحفية التي عرفتها الجزائر قادتها و ساهمت فيها جماعة من خريجي الزيتونة وقد تركزت هذه النهضة في المناطق القريبة من الحدود التونسية: قسنطينة، بسكرة، وادي ميزاب..(30)

وقد اعترف الطيب العقبي الذي خَبِر الصحافة في الحجاز بتفوق تونس على الجزائر عِلما وعملا خصوصا في الطباعة(31). ويكفي أن نلاحظ بأن كل الجرائد الجزائرية ( الإصلاحية) قد نقلت كثيرا عن الجرائد التونسية والمشرقية بصفة عامة(32).

**3- دعوات مشتركة للاهتمام بالطباعة والنشر:**

كان الوضع في الجزائر يتسم بسيطرة الفرنسيين على المطابع من جهة وتركزها في المدن الكبرى من جهة أخرى، ورغم ظهور مطابع جزائرية بعد الحرب العالمية الأولى في الجزائر وقسنطينة ومستغانم ووهران...إلا أنها كانت ضعيفة من حيث تأهيل عمالها ودعمها المالي(33). ونحن نميل مع المفكر مالك بن نبي الذي ألمح إلى أن ظهور مطبعة جريدة "النجاح" في قسنطينة عام 1919 كان بتأثير من الجو الصحفي في تونس، فمؤسسا المطبعة عبد الحفيظ بن الهاشمي ومامي إسماعيل درسا بتونس. وقد استطاعت جريدة "النجاح" أن تبعث نهضة صحفية سواء بالتقليد أو المنافسة، وتمكنت في الأخير من الصدور بصفة يومية(34).

كما أن الجزائريين -ومنهم أبناء الزيبان- قد أدركوا أهمية الطباعة عندما كانوا يشاهدون في تونس انتشار المطابع، مثل مطبعة محمد التليلي في نهج جامع الزيتونة (35) والمطبعة التونسية والمطبعة العربية لزين العابدين السنوسي التي طبعت لأحمد توفيق المدني كثيرا من أعماله...

أما في (الزيبان) فقد تميزت بسكرة رغم بُعدها عن المراكز الكبرى باهتمام خاص بالصحافة، وشكّلت الصحافة الإصلاحية فيها بعد ذلك قضية مبدأ لا وسيلة تجارة وكسب، لهذا نجد أبناء الزيبان يدعون لتأسيس الصحف وينشرون أعمالهم في الصحف المتاحة (المنتقد، النجاح، الصِّديق...) مثل مولود الزريبي وأحمد بن العابد العقبي في الصِّديق(36).

كما أن محمد السعيد الزاهري قد أصدر جريدة " الجزائر" عام 1925 رغم أنها لم تُصدر غير عددين(37).

وقد دعا ابن الزيبان مولود الزريبي منذ 1920 إلى الاهتمام بالصحافة العربية ودعمها وتأييدها ماديا ومعنويا باعتبارها: "...لسان الأمة وترجمان ضميرها ودليل رقيها..."(38).

كما دعا الصحفي التونسي مصطفى بن شعبان أبناء الزيبان منذ فيفري 1926 إلى إنشاء مطبعة خاصة بهم لأنها تمثل :" حركة كبرى في نشر العلم والأدب وإصلاح الأخلاق وعلاج الأمراض ودواء الأجسام المريضة بالتأخر و المصابة بالانحطاط "(39)، وفي "الشهاب" نجده يدعو إلى إنشاء مطبعة خاصة بجريدة الإصلاح أو على الأقل تطوير وتوسيع المطبعة الإسلامية الجزائرية ( قسنطينة) حتى تتمكن من طبع جرائد أخرى(40). أما المصلح إبراهيم بن محمد الطرابلسي فقد أعاب على أبناء بسكرة غياب مطبعة في بلدهم وفيهم :" من يشتريها بسعف نخيله"(41).

وفي ردّ العقبي على خصومه الذين انتقدوه لقراءته الجرائد التي اعتبروها لهو الحديث يبرز نظره في الصحافة بأنها ضرورة وواجب:" من الضروريات في هذا الوقت، وهي من الأمور التي أدعو إليها وأرغب الناس في قراءتها وأرجو من الله على ذلك أجرا وثوابا"(42).

وقد تجسد هذا الوعي في طبع عدد من الأعمال الفكرية والأدبية الجزائرية في تونس لعل أشهرها كتاب "بدور الأفهام وشموس الأحلام على عقائد ابن عاشر الحبر الهمام" لمولود الزريبي وكتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" لمحمد الهادي السنوسي الزاهري عامي 1926 و 1927(43).

**4- مظاهر التفاعل الصحفي بين منطقة الزيبان وتونس:**

**4-1- صدى الصحراء:**

تعتبر جريدة صدى الصحراء أول جريدة تطبع ببسكرة، وقد اعتبرت صدى الصحراء نفسها جريدة وطنية إسلامية:" علمية أدبية اجتماعية إصلاحية انتقادية"، وكتبت بأن مديرها هو أحمد بن العابد العقبي أما عنوانها فهو 18 شارع مالاكوف في بسكرة(44).

وقد شاركت في تحريرها الجماعة الإصلاحية في بسكرة مثل الطيب العقبي، الأمين العمودي، محمد العيد آل خليفة... أما طباعتها فكانت تتم في قسنطينة ليتم بعدها التوزيع في بسكرة انطلاقا من إدارتها(45). وتعد "صدى الصحراء" أكثر الجرائد الزيبانية وربما الجزائرية التي أقبل عليها كاتب تونسي رغم قصر عمرها، حيث كتب فيها مصطفى بن شعبان مقالات كثيرة.

ففي عددها الخامس نقل أخبار احتجاجات وتظاهرات التونسيين للمطالبة بإزالة تمثال الكاردينال لافيجري ونقل أحكام فرنسا القاسية التي أنزلتها بالمتظاهرين التونسيين(46). وفي عددها التاسع كتب مقالا بعنوان:" عوامل النهوض" جعل النشر والتأليف وتأسيس المطابع عنصرها الأول، بل إنه اعتبر المطبعة تحتل الصدارة في :" ...مراقي العلاج وعوامل النهوض وحركات الشعوب التقدمية الرامية إلى إصلاح ما فسد من الهيئة الاجتماعية..."(47).

أما في عددها الثالث عشر فقد شارك مصطفى بن شعبان في السجال الدائر بين الصحف الطرقية الجزائرية من جهة والصحف التونسية من جهة أخرى. فندد بما كتبه مامي إسماعيل ( مدير النجاح) ضد جريدة "الشورى" (التونسية)، وذكر بن شعبان بأن رسائل الأدباء والكتاب الجزئريين تَرِد يوميا على إدارة جريدة "الشورى" مُدينة ما كتبه إسماعيل مامي ومؤكدة ربطها:" لأواصر الحركة العلمية والتعارف بين العاملين في القطرين "(48).

وفعلا فقد وجد مصطفى بن شعبان في "صدى الصحراء" مجالا للرد على خصمه إسماعيل مامي *في سجالات عديدة خاصة دفاع* إسماعيل مامي عن الطرق والزوايا الجزائرية بعد ما هاجمها مصطفى بن شعبان فاتهمه *بأنه تناسى ما يحدث في بلده تونس: "الممتلئة بالبدع ".*

كما ردّ مصطفى بن شعبان على إسماعيل مامي عندما أجاز التجنيس في مقاله المنشور في جريدته "النجاح.ع364. فنشر رده في جريدة" الوزير"(التونسية ) في العدد195 بعنوان "فتوى صحيفة"(49).

فنلاحظ إذن بأن عام 1926 قد شهد تحالف جريدة "صدى الصحراء" مع الصحافة التونسية ضد جريدة النجاح(50)، و أشادت بجريدة "النديم" بمناسبة صدور عددها الممتاز لسنتها السادسة(51).

كما كانت "صدى الصحراء" مجالا لشعراء التونسيين لنشر قصائدهم وأفكارهم فنجدها في عددها الثالث عشر تنشر قصيدة تأييد وإشادة بها كتبها الشاعر التونسي محمد الفايز تدافع عن الفكر الإصلاحي ضد الفكر الطرقي والجمود والتخلف حسبه، منها قوله :

ويوقظ فكرة الإصلاح فينا وينشر ما طوته يد الأعادي

فكم طال المنام بنا زمانا ونحن على فراش الاضطهاد

تصوف شيخنا من فرط جهل ومال بنشئنا داء الكساد

توقفت "صدى الصحراء" بعد إصدارها ثلاثة عشر عددا في 29 فيفري1926، وقد عاودت الظهور عام 1934، ولكن بروح وإيديولوجية مختلفة حيث حاربت التيار الإصلاحي(52).

ويبدو أن جريدة "وادي ميزاب" قد تأثرت بها، عندما قام مؤسسها الشيخ أبي اليقظان بطباعتها في تونس من 1926 إلى غاية 1929 بمجموع 119 عددا، مع تفوق واضح لجريدة وادي ميزاب(53).

**4-2- البرق:**

تعتبر جريدة "البرق" الجريدة الزيبانية الثانية من حيث الأهمية، وقد ظهر عددها الأول في7 مارس 1927 تحت إشراف محمد السعيد الزاهري وإدارة محمد عبد المجيد رحموني، و كُتب في أعلى الجريدة: "صحيفة اجتماعية أدبية انتقادية سياسية اقتصادية فكاهية "، وقد سارت على نهج إصلاحي فكانت تشبه جريدة "المنتقد" للشيخ عبد الحميد بن باديس(54).

كانت "البرق" تُطبع في قسنطينة لتوزع في بسكرة، ولكن منذ العدد السابع عشر صارت تطبع في تونس وتُنقل عبر القطار لتوزع في بسكرة وقسنطينة، ولكن أسلوبها المتهكم الحاد أدى إلى نفور الناس منها. ولعل ما يدلنا على رواجها في تونس وتفاعلها مع الجرائد الأخرى هو السجال الحاد الذي دار بينها وبين جريدة "النديم" عندما تعرّضت جريدة "البرق" لسيرة حسين الجزيري بطريقة مُشينة(55)، والذي امتد إلى جرائد أخرى، ولم ينته إلا بتدخل عدد من الكتاب من القطرين، مثل أحمد توفيق المدني الذي كتب مقالا في "الشهاب" من جزئين بعنوان "كلمة أخيرة"، وكذلك الطيب العقبي الذي كتب مقال " بعض كلمة"(56).

صدر من جريدة البرق سبعة وعشرون عددا، وقد ضمّت كبار الكتاب المصلحين الزيبانيين أمثال السعيد الزاهري (تأبط شرا)، العمودي (سمهري)، العقبي (السلفي) ...(57)

وفعلا فقد كان ركنها الدائم" قوارص" وأسلوبها اللاذع سببا في تعطيلها في سبتمبر 1927 (58).

**4-3- الإصلاح:**

تعتبر جريدة "الإصلاح" اللسان الناطق باسم الإصلاح الزيباني في مرحلتها الأولى بلا

منازع، وقد أصدرها الطيب العقبي بالاشتراك مع محمد العيد آل خليفة، ولكن ابتداء من العدد الثاني سيتأكد إشراف الطيب العقبي عليها بعد انتقال آل خليفة للتدريس في العاصمة في أكتوبر1929(59).

**4-3-1- طبع جريدة الإصلاح في تونس**:

قام الطيب العقبي بعد حصوله على امتياز ترخيص جريدته "الإصلاح" بطبعها في تونس، حيث كتب على العدد الأول بأنها تُطبع بالمطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد57 بتونس، وأن وكيل الجريدة في تونس هو مصطفى بن شعبان الصحفي الإصلاحي المعروف لدى النخبة الإصلاحية الجزائرية(60)، وكانت تصل الجريدة من تونس إلى بسكرة عبر القطار ثم توزع بعد ذلك على الأفراد والهيئات.

ولكن بمجرد صدور العدد الأول منعت الإدارة الفرنسية بواسطة محافظها في تونس جميع المطابع التونسية من طبع الجرائد الجزائرية إلا بإذن خاص .وقد تدخّل وكيل الجريدة الشرعي في تونس لدى المحافظ شارحا له الوضع بأن قرار منع طباعة جريدة "الإصلاح" في تونس مخالف للأعراف والقوانين، لأن امتياز الجريدة منصوص عليه في الترخيص ومسجل فيه أن جريدة "الإصلاح" تُطبع بالمطبعة التونسية بالعنوان المعروف، فلماذا تشترط حكومة تونس الإذن الخصوصي السري من حكومة الجزائر؟ وهي تعلم بأنها سترفض منح هذا الإذن، لأنها تعتبر أن رخصتها (امتيازها ) لا تحتاج إلى إذن إضافي، كما أنها ستتحجج بأن الوالي العام في الجزائر لا يتدخل فيما يتعلق بالمقيم العام في تونس (61).

ويستغرب العقبي كيف تُمنع جريدة "الإصلاح" من الطباعة في تونس بينما يُسمح بطباعة جريدتي "وادي ميزاب" و"البرق" : " رغم أن رخصهما أيضا صادرة عن قسنطينة" (62).

**4-3-2- التضامن التونسي في حادثة منع طباعة الإصلاح في تونس:**

وقامت صحف تونسية كثيرة بتغطية حادثة منع طباعة جريدة "الإصلاح" في تونس، فأصدرت بيانات ومقالات وتنديدات واستنكارات عديدة ضد الإدارة الاستعمارية واتهمتها بقمع الصحافة العربية وقطع الصلات العلمية الضاربة في القِدم بين القطرين، وتابعت أخبار وتطورات هذا المنع ومحاولات الطيب العقبي إعادة طبعها في تونس. فكتبت عن هذا جريدة "الوزير" في عدة مواضيع، وكذلك "الزهرة"، و"تونس الجديدة" الصادرة باللغة الفرنسية في صفاقس، وجريدة "النهضة" في مقالين...(63)، وهو ما يعكس لنا تضامنا بين صحفيي القطرين.

**4-3-3- الأثر التونسي في المطبعة العلمية في بسكرة:**

وبعد أن حمّل الطيب العقبي مسؤولية منع طبع جريدته في تونس لشيوخ الطرق الذين وشوا به إلى الإدارة الاستعمارية سعى إلى طبعها في المطبعة الإسلامية الجزائرية بقسنطينة التي رفضت ذلك(64)، فعزم على شراء مطبعة خاصة لجريدته فنظم حملة تطوعية تجند لها مصلحو وأعيان بسكرة، قال عنها الطيب العقبي: "...وفعلا أسسوا وهم الفئة القليلة المطبعة العلمية " معتبرا إياها "الوسيلة الأنجح والأضمن " لسير جريدته(65).

ولا يلبث العقبي أن يُشيد في أعداد جريدته بالمُصفف التونسي (محمد بن سالم) المُشرف على مطبعته العلمية فيُسميه " كبير عملة المطبعة العلمية ببسكرة ورئيس مصففي الإصلاح"، كما يذكر رحلاته المتكررة إلى بلده تونس وتأثيرها في اضطراب سير طبع الجريدة(66).

كما يذكر العقبي في العدد الثاني بأن مصطفى بن شعبان مازال وكيل الجريدة في تونس ومراسلها، وقد استمر فعلا في نشر مقالاته في الجريدة(67).

ورغم شراء المطبعة العلمية وتركيبها في بسكرة إلا أنها استغرقت وقتا وجيز للانطلاق في العمل أرجعه الطيب العقبي إلى ضعف تأهيل عمالها، كما عرفت بعد ذلك أعطالا متقطعة حتى أن السعيد الزاهري راسل الطيب العقبي بمقال يسأله فيه :"أين الإصلاح؟ لقد تمّت المطبعة التي اشتريت لأجل الإصلاح، فهل تنتظرون به هذا المولد الشريف أم تنتظرون به يوم القيامة ؟"(68).

وقد استطاعت الإصلاح أن توزع 3 آلاف نسخة منها أسبوعيا متفوقة بذلك على جرائد الشهاب والمغرب والبلاغ(69).

كما استطاعت أن تطبع إلى جانب الجريدة قصيدة الطيب العقبي "عليكم بنهج الصالحين " وتوزيعها(70).

وقد أشادت جريدة "الإصلاح" بجريدة "النديم" التونسية إشادة تنم عن سابق معرفة بها وبمؤسسها فكتبت:" هي الصحيفة الفكاهية الأخلاقية الانتقادية والجريدة اللطيفة الهزلية الجدية الصحيحة العربية الوحيدة في إفريقية الشمالية"، أما مؤسسها فهو:" الوطني الغيور الأستاذ حسين الجزيري"(71).

وقد وصل صدى "الإصلاح" إلى تونس واعتبرها عدد من كُتابها امتدادا لجريدة المنار(المصرية) ومجالا لعرض أفكار رجال النهضة الجزائرية(72).

ولكن بسفر الطيب العقبي للاستقرار نهائيا في العاصمة توقفت طباعة "الإصلاح" ببسكرة، أما مطبعته فلم يُعرف مصيرها، وقد كتب عنها أحمد توفيق المدني بأنها بقيت عُرضة لـ:" أيدي الإهمال والفساد"(73).

ويُصور لنا محمد الأمين العمودي الأثر الفكري الذي أوجدته جريدة "الإصلاح" على مستوى بسكرة والجزائر ككل بأنه:" همزة وصل بين كافة المصلحين الذين ظهروا زمنئذ في عالم الوجود وميدانا لجميع فرسان النهضة الجزائرية الفتية ورابطة تعذّر على الخصوم فصمها بين حملة الأفكار والأقلام العاملين لخير العباد والبلاد"(74).

وفي اعتقادنا أن الجرائد الأخرى التي ظهرت بعد ذلك على يد أبناء الزيبان في بسكرة وخارجها كانت إمّا متأثرة بتجربة البرق وصدى الصحراء والإصلاح أو بالصحافة التونسية بصفة عامة. ونذكرها باختصار:

**- جريدة لوكو دو بومبو** (ضربة الخيزران)  **coup de bambou**: وهي جريدة صغيرة الحجم باللغة الفرنسية، ظهرت في بسكرة عام 1934 تحت إدارة أحد الأهالي المتجنسين، وقد اشتهرت بانتقادها اللاذع واستعانتها بالرسوم الكاريكاتورية الساخرة ضد أعدائها ، وكانت تميل للدفاع عن الشريف سعدان ضد منافسيه الانتخابيين(75).

**- جريدة أبي العجائب:** وهي جريدة فكاهية أصدرها في ماي 1934 محمد بن العابد الجلالي (1890-1967) وترأس تحريرها محمد بن العابد العقبي، و يبدو أنها كانت متأثرة بالجرائد الفكاهية المنتشرة بكثرة في تونس(76).

نخلص من خلال هذه الدراسة إلى أن الترابط والتفاعل بين منطقة الزيبان وتونس كان وثيقا على الصعيد الصحفي، وقد تبادل فيه الطرفان التأثير والتأثر مع أفضلية لتونس باعتبار جو الحرية والنشاط الأكثر اتساعا فيها، فتمثلت المساهمة الجزائرية في نشر الأعمال الجزائرية في الصحف التونسية وتغذية هذه الصحف بما يلزمها من أعمال. أما الإسهام التونسي فتجسد في طباعة الأعمال الجزائرية في تونس سواء كانت أعمالا أدبية أو صحفية مثل جرائد "البرق" و"الإصلاح" والمساهمة الفنية في تأسيس المطبعة العلمية ببسكرة، أو دعم المحاولات الناشئة بنشر المقالات والأعمال أيضا كما ظهر ذلك في جريدة "صدى الصحراء".

وبهذا يمثل هذا التفاعل والتعاون فصلا من فصول الترابط الحضاري الدائم المتعدد بين القطر ككل.

**الهوامش والإحالات:**

1- اعميراوي احميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص 173 .

2 - خير الدين شترة، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900-1939، ج1، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2009، ص 295 ، وأيضا: عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب 1920-1954، ماجستير، جامعة الجزائر، 2008، غير منشورة. ص ص45، 46

3- شترة ، المرجع السابق ،ج1 ،ص278 .

4- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات)، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 128

5- بين 1888 و1921 أصدر الجزائريون في تونس : الحاضرة. سبيل الرشاد. إظهار الحق. السعادة العظمى. تحقيق الأمل .القسطاس .المنصف. التسامح. المنبر العربي الفرنساوي. بوقشة. الإسلام. الثريا. جحا. التونسي. الاتحاد الإسلامي. جحجوح. الضحك . المشير. صدى الساحل. الوزير. لسان الشعب. البرهان. عمر بن قفصية، أضواء على الصحافة التونسية، دار بوسلامة للطباعة والنشر،1972

6- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، ص399

7- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، ط1، 1998، ص 283- وص 285

8- محمد صالح الجابري. النشاط العلمي. ص191

9- المرجع نفسه، ص191 . و أيضا: شترة، مرجع سابق،ج1 ، ص187

10- المرجع نفسه ،ج2، ص1235

11- نفسه، ج3. ص07- 08- 43- 45- 57- 92-98.

12- نفسه، ج2، ص 1510

13- الطيب العقبي، شهر شعبان في تونس غيره في الجزائر، الشهاب،ع 85، فيفري 1927

14- شترة، المرجع السابق، ج1، ص 224

15- المدني، حياة كفاح،ج1، ص 461،

16- المصدر نفسه، ج2، ص 153

17- نفسه، ص 222

18- محمد القورصو، حول إشكالية انتشار الصحافة المشرقية والمغربية في المستعمرة الجزائرية ما بين 1920 و 1954، ضمن الصحيفة وآثارها في الجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين، إعداد مخبر التاريخ و الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، جامعة وهران، دفتر3، نوفمبر 1992، ص 52.

19- المرجع نفسه، ص ص 72، 73

20- محمد صالح الجابري، رحلات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص87

21- شترة، مرجع سابق، ج2، ص ص 229، 230

22- المرجع نفسه، ص ص 1187

23- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، ص ص 66، 67

24- شترة، مرجع سابق، ج1، ص 522

25- للمزيد انظر: محمد بوطيبي، دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية والتونسية 1900-1930، مطبعة دار الهدى، الجزائر، 2012، ص ص 190-213.

26- محمد صالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان، ط1، 1990، صفحة خ

27- سعد الله، مرجع سابق، ج5، ص 280. وأيضا شترة، مرجع سابق، ج1، ص ص 528، 529

28- الشهاب، عدد 27/10/1927

29- أبو اليقظان، ليلة زهراء بتونس، تونس تعانق شقيقتها الجزائر، الأمة، ع 13

30- محمد صالح الجابري، التواصل الثقافي، صفحة ز

31- الإصلاح، ع 2، الخميس 2 ربيع 2 1348هـ/ 05/09/ 1929)

32- انظر مثلا: فهرس موضوعات جرائد أبي اليقظان مثلا في: محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص ص 301، 464. والمجلد السادس عشر من مجموعة الشهاب ( طبعة دار الغرب الإسلامي).

33- سعد الله، مرجع سابق، ج5، ص 309

34- محمد صالح الجابري، التواصل الثقافي، ص 140

35- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، ص 214

36- محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العاصر الحاضر، ج1، المطبعة التونسية، 1926، ط1، ص 135. وأيضا: عبد القادر قوبع، مرجع سابق، ص 104.

37- سعد الله، مرجع سابق، ج5، 258

38- مولود الزريبي، الصحافة العربية في الجزائر، الصديق، ع 7، 25 أكتوبر 1920

39- مصطفى بن شعبان، صدى الصحراء، ع9، 01 فيفري 1926

40- مصطفى بن شعبان، تفاصيل طبع ومنع الإصلاح بتونس، الشهاب، ع 140

41- عبد القادر قوبع، مرجع سابق، ص 112

42- الطيب العقبي، ماذا ينتقدون عليّ؟، الإصلاح، ع7، 07/11/1929

43- عبد القادر قوبع ، مرجع سابق، ص 113. وكذلك: محمد صالح الجابري، التواصل الثقافي، صفحة ط

44- انظر العدد الأول مثلا أو الثاني...

45- عبد القادر قوبع ، مرجع سابق، ص 104

46- مصطفى بن شعبان، صدى الصحراء، ع5، 04 جانفي 1926

47- مصطفى بن شعبان، عوامل النهوض، صدى الصحراء، ع9، 10 فيفري 1926

48- مصطفى بن شعبان، بيان للناس، صدى الصحراء، ع13. 15رمضان 1344هـ. 29 مارس 1926

49- المصدر نفسه.

50- انظر مثلا ع13. وع12،"15مارس 1926" من صدى الصحراء

51- صدى الصحراء، ع12، 15مارس 1926..

52- عبد القادر قوبع ، مرجع سابق، ص104

53- محمد ناصر، مرجع سابق، ص178

54- عبد القادر قوبع ، مرجع سابق ،ص107

55- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، ص122.

56- المصدر نفسه، ص 191 وص194. وأيضا: الطيب العقبي، بعض كلمة، الشهاب، ع 99

57- عبد القادر قوبع ، *مرجع سابق، ص108*

58- محمد السعيد الزاهري، هل حُوكم البرق، الشهاب، عدد122، 17 نوفمبر 1927.

59- عبد القادر قوبع ، المرجع السابق، ص105.

60- الإصلاح، ع2 ، الخميس 2 ربيع الثاني 1348. 5 سبتمبر1929

61- المصدر نفسه.

62- الطيب العقبي، عراقيل الإصلاح جرائد الجزائر لا تطبع بتونس ، الشهاب ، ع14، 12 فيفري 1927.

63- الإصلاح، ع2 ، الخميس 2 ربيع الثاني 1348. 5 سبتمبر1929

64- سعد الله، مرجع سابق، ج5، ص ص 310، 311

65- الطيب العقبي، الإصلاح، ع2 ، الخميس 2 ربيع الثاني 1348. 5 سبتمبر1929

66- الإصلاح ،ع7، الخميس 7نوفمبر 1929 ، والعدد 14 25 سبتمبر 1930

67- الإصلاح، ع2 ، الخميس 2 ربيع الثاني 1348. 5 سبتمبر1929

68- السعيد الزاهري، الإصلاح أو المهدي؟ الإصلاح ع3، الخميس 16 ربيع الثاني 1348. 19 سبتمبر1929.

69- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص372

70- الإصلاح، ع2 ، الخميس 2 ربيع الثاني 1348. 5 سبتمبر1929

71- الطيب العقبي، جريدة النديم، الإصلاح، ع13، 27 فيفري 1930

72- باختيار بن عمر(محمد الصادق بسيس)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين شمس أشرقت في سماء الجزائر فأحيتها من بعد مئة عام، الهداية، أفريل 2004، ع 140

73- سعد الله، مرجع سابق، ج5، ص 252 نقلا عن أحمد توفيق المدني.

74- العمودي، بماذا اقتبل المصلحون الصادقون جريدتهم الإصلاح، الإصلاح، ع 21، أفريل 1940

75- صدى الصحراء، ع 20، 12 اكتوبر1934. و أيضا: عبد القادر قوبع، مرجع سابق، ص 112. وكذلك: محمد صالح الجابري، رحلات جزائرية، ص 145

76- عبد القادر قوبع ، مرجع سابق، ص 110. ومن أشهر الجرائد الفكاهية التي عرفتها تونس : أبو خلف، جحجوح، جحا والضحك...انظر: حمادي الساحلي، الصحافة الهزلية في تونس، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1996، ص 179